
مسرحيتان شعريتان
الأميرة تنتظر
و
مسافر ليل
صلاح عبد الصبور

صلاح عبد الصبور

الأميرة تنتظر و مسافر ليل

مسرحيتان شعريتان

الناشر
دار النهضة العربية
٣٢ شارع عبد الخالق ثروت . القاهرة

الأميرة تنتظر

« نحن لا نكشف الكوخ اذا أضيء النور لأول مرة ، ولكننا نكتشفه . وسكانه لا يعنيهم أمرنا لأن مشكلتهم قد لا تعنينا . انهن يعشن فى انتظار رجل ، يعلن انه سيجىء يوما ما . ولذلك فان النور الذى يمتد من واجهة المسرح الى عمقه يضىء لنا بابا يتارجح على لولبه ، ليس مفتوحا أو مغلقا ، وهو يصر صريرا متمزقا كان ريحا غير منسجمة الهبوب تعلن عن وجودها خارج الكوخ بالدق على خشب الباب . وحين يعود النور من عمق المسرح يتجه الى اليمين لترى درجا صاعدا الى غرفة الأميرة ، يوازيه الى اليسار درج هابط الى حاصل الكوخ ، حيث تحتفظ الساكنات بزادهن اليومى الفقير . أما وسط الكوخ فتحتله مائدة مستطيلة قديمة الطراز ... قديمة فحسب ، اذ ليس لها طراز معين ، وحولها أربعة مقاعد ظهر أحدها أعلى قليلا . والمقاعـد لا تتآلف حول المائدة ، ولكنها تتخالف بلا ايقاع . يروغ بين المقاعد ظهرا امرأتين ، تلبسان السواد ، وتنظفان رثاثة الأثاث ، وتتشاكيان » .

الوصيفة الأولى :

يستعجلنا الموت
لكنّا نتشبث بحبال العيش المبتوته

الوصيفة الثانية :

ليس لنا أن نختار
لسنا إلا كلماتٍ فى جدله .

الوصيفة الأولى :

ما قيل فقد قيل

نطقتنا الأيامُ ، وألقتنا فى وجه الريح

الوصيفة الثانية :

فلنحرص ألا نتفرق أو نتوحد

حتى لا يذروَنا الغد

وتعلقَنا بين جدائلها أشجارُ السرو

الوصيفة الأولى :

خمسة عشر خريفا مذْ حملتنا فى العربة

من بين حقائب ماضيها

الوصيفة الثانية :

خمسة عشر خريفاً مذ فارقنا قصر الورد

ونزلنا هذا الوادى المجدبْ

إلاَّ من أشجار السرو الممتد

كتصاوير الرعب ...

الوصيفة الأولى :

هل حملتنا قسراً

كنا نحلم بالحب كما يحلم كهف بالنور

ولذلك أحببنا أن نصحبها

الوصيفة الثانية :

خدعتنا الأحلام

الوصيفة الأولى :

هى أيضاً قد خُدِعت
ما الوقت الآن ؟

« تتجه الوصيفة الثانية الى الحائط ، لتكشف لنا عن كوة صغيرة ، تفتحها لترى تكاثف الظلام فى الوادى »

الوصيفة الثانية :

خمسة عشر ظلاما

الوصيفة الأولى :

هذا ميعاد مواجدنا الليليه
الجرح يريد السكين

الوصيفة الثانية :

نفس الترتيب ؟

الوصيفة الأولى :

نفسُ الترتيب ...
حين تصير الظلمة خمسة عشر ظلاماً ...
نتبادل هذى الكلمات ...

الوصيفة الثانية : **« مقاطعة »**
أعرف دورى ...

« تبتعد الى أقصى يمين المسرح ، بينما تتجه الوصيفة الأولى الى أقصى يساره . ثم تتوقف كل منهما برهة كما يتوقف الممثل استعدادا لالقاء دوره ، ويرتسم ظل ابتسامة على شفتيها ، وتنطلق الوصيفة الثانية فى صوت مرح » .

يا مفطوره ...
حتى العصفورْ
لا تملأ بهجةُ قلبه
رِقّةَ حوصلته
وأميرتُنا ،
ولتسعدْ بالأيام الحلوةِ حتى تشرقَ شمسُ الأيام الحلوة فى عينيها
وتزيدَ جمالا ، إنْ كان تمام الحسن يزيد
تبغى أن تمزج جوهرها النورانيَّ ببعض اللذات الأرضية .

الوصيفة الأولى :

كأسِ نبيذ مثلا ؟

الوصيفة الثانية :

وأفيضيه حتى نغمس فيه لقمه

الوصيفة الأولى :

وشواءْ ؟

الوصيفة الثانية :

قدراً يُشْبِعُ جَوْعَةَ عصفور

الوصيفة الأولى :

أعددتُ لها بعض حكايات حلوه

الوصيفة الثانية :

المرأة والملاح العربيد

لا يقرب زوجته إلاّ إن رقرقها بالماء ؟

الوصيفة الأولى :

لا . . لا . .

الوصيفة الثانية :

الديك المسحور

يتحوّلُ عند الفجر أميراً مؤتلق التاجِ ،

ويهبط كلّ مساءٍ ليصوصو فى حضن الفلاحه ...

والفلاح يغط بنومه

الوصيفة الأولى :

لا . . لا . .

لن أكشف عن تُحَفِى إلا بين يديها

ما الوقت الآن ؟

الوصيفة الثانية :

« تتجه الوصيفة الثانية الى الكوة لتنظر ، ثم تعود »

سبعة عشر ظلاما
ما أسرع ما تتكاثف هذى الظلمات
تتدحرج فوق الوادى كالثوب الشفاف
توشك لا تلحظها العين
ما تلبث أن تتهاوَى ، تتكوم بعد قليلٍ ، تتصالب كالأحجار
إيه .. ما أثقلها فى قلبى الليلة .. ..

الوصيفة الأولى :

ما هذا ؟ أخرجتِ عن الدور ؟

الوصيفة الثانية :

لم أخرج بعدُ ،
وما فى وُسْعِى أنْ أخرج
ما دمنا نحيا فى هذا الكوخ

الوصيفة الأولى :

إنَّا ننتظرُهْ

الوصيفة الثانية :

واثقةٌ أنْ سيجىء ؟

الوصيفة الأولى :

هذا ما نحيا له

الوصيفة الثانية :

وإذا لم يأتِ . . ؟

الوصيفة الأولى :

لم يأت . . ؟

لا . . لا . . لا بد وأن يأتى

« تظهر الوصيفة الثالثة من أعلى الدرج الأيمن ، وتتخذ هيئة الغاضبة ، وكان أحدا ناداها فشغلها عما كانت فيه ، تقف، وقفة الاستعداد التمثيلية لتشترك معهن فى لعبتهن » .

الوصيفة الثالثة :

ها أنذى قادمة توا

ما بالكما ، لا يهدأ صوتكما أبداً

امرأتان كسولان ...

تدعان لىَ العملَ الشاقَ ، وتنطلقان إلى الثرثرةِ ،

كما تنطلقُ المهرةُ للبغل

هل حان الوقت ؟

الوصيفة الأولى :

فلتنتظرى حتى نضع المائدةَ كما تهوَى ، ونُعِدَّ الأقداح،

« تهبط الوصيفتان الأولى والثانية الى الحاصـــل ، بينما تهبط الوصيفة الثالثة من أعلى الدرج ، وتتلفت حولها لتطمئن الى أنها وحيدة لا يسمعها أحدا ، فتخرج على لهجتها التمثيلية لتعود الى واقعها » .

الوصيفة الثانية :

تهوى الأيامُ كأوراق الأشجار ، وتنبت أوراقٌ أخرى
وعلينا أن نقفز مثل الديدان
من يوم ميتْ
في يوم مولود

« تتجه نحو الباب ، وتفتحه قليلا فى حذر »

الظلمةُ هذى الليلةَ أحلكُ مما اعتادت عينى فى هذا الوادى
لا تبدو صامتةً جوفاء ككل مساء
فى داخلها سر يمشى ، يوشِكُ أن يتكلَّمَ ويصيحْ
لا ... لا ... ليست خشخشةَ الورق الذابِل فى الريح
بل خُطُواتِ السر

« تصعد الوصيفتان ، تحملان بضـــعة أطباق وأقــداح فارغة ، تنشغلان بصفها على المائدة ، ثم يتبادل الثلاثة النظرات ، ويقفن صفا كأنهن فى صلاة وثنية . وتتجه عيونهن الى أعلى الدرج ، حيث تبرز الأميرة فى أروع زينتها » .

الوصيفة الثالثة :

مولاتى
من أعلى السلم يلمع نورُكْ

شمسٌ فى السمْت
ويفيض عبيرُكْ
فتبلٌ نداوته جدرانَ البيت

الوصيفة الأولى :

مولاتى
من أعلى السلم يتضوأ نحرك
حتلُ زهورٍ مرشوشٌ بالنور
ويزغرد شعرك
خمر تنسكب على صفحة بلور

الوصيفة الثانية :

مولاتى
ن أعلى السلم يختالُ قوامكْ
وسيقى تلتف وتتمهل
نغم تفْرطه أقدامُكْ
ويعود ليتشكل

الأميرة :

شكراً ، فلأهبط درجة

الوصيفة الثالثة :

مولاتى ...

فى وسط السلم تحتار العين
ثوبك أم صفحة فضه
تتمرَّغ فيها شمس الصيف

الوصيفة الأولى :

مولاتى
فى وسط السلم تحتار العين
جيدك أمْ كومة ماس
يتكسر فيها النور ويلتمّ

الوصيفة الثانية :

مولاتى
فى وسط السلم تحتار العين
خُفَّاكِ هما أم جُنْحا طائر
خُيِّر بين الألوان ، فأبدع

الأميرة :

شكراً ، فلأهبط درجه
معذرة ، إنِّى أنْسَى دَوْماً أسماء وصيفاتى
هل تعملن بقصر أبى ؟

الوصيفة الثالثة :

كم وطأتنا قدماه الطيبتان

الأميرة :

ماذا تعملن ؟

الوصيفة الأولى :

أنا خادمتك مفطورة

أحمل مروحتك

الوصيفة الثانية :

وأنا خادمتك بره

أعتمد مِلفحتك

الوصيفة الثالثة :

وأنا خادمتك أم الخير

أحياناً يؤثرنى فضلك

فتنامين بحجرى

حتى يلمس ملكُ الأحلام العذبه

بأصابعه الوردية صفىْ أهدابك

الأميرة :

ماذا تبغين الآن ؟

الوصيفة الثالثة :

ننتظرُك حتى يعطفك علينا فيضُ كمالك

أعددنا مائدةً متواضعة ، وتمنينا لو أكرمتِ
وصيفاتك بالصحبه

الأميرة :

لا بأس .. لا بأس

« يسمع صـــوت من الخارج ، كأن خطى تتردد ، تنزعج الأميرة . وتخرج عن دورها الذى كانت تؤديه الى واقعها ، ملقية بسمعها الى الصدى .. انها تعود من ماضيها حين كانت فى مقر أبيها ، الى واقعها فى هذا الكوخ الفقير » .

ما هذا يا أم الخير ؟

الوصيفة الثالثة :

مولاتى .. تلك هى الريح

الأميرة :

أتُرَاه يأتى الليله ؟

الوصيفة الثانية :

لا أدرى يا مولاتى
أنسمَّعُ فى هذى الليلة سرا مدفونا فى أحجار الصمت
يوشك أن يُبْعَثَ شبحا تنشق عنه الظلمه

الأميرة :

أشعر هذى الليلة مثل شعورك

لا أدرى ماذا أفعل إنْ جاء
إنى أسألكن سؤالا . .
لكن لا تكسِرن فؤادى بجواب مسنون كالسيف
أو بجواب رواغٍ كالماء
قد كنتن معى فى تلك الليله
وعرفتن الحادث

الوصيفة الثالثة :

الحادث ؟ ما الحادث ؟

الأميرة :

الحادث ؟ !
لا تذكرن الحادث ! !

الوصيفة الثالثة :

ما يُحْيَا كل دقيقه
لا يُنْسَى أو يُذْكر

الأميرة :

أبدو مخطئة فى أعينكن
لكنْ .. لكنْ
قد لوّح لى بالحب

الوصيفة الثانية :

نعلم ... نعلم

الأميرة :

بل أقسَمَ أن يُنبت فى بطنى أطفالا
طفلا فى كل خريف

الوصيفة الأولى :

نعلم ... نعلم

الأميرة :

هل أخطأتُ إذن

« يقترب صوت الخطى ، كأنها تحزم وتتردد ، وتسمع الأميرة »

رباه ! ماذا تحملُ هذى الليلة

الوصيفة الثالثة :

لا تحمل هذى الليلةُ إلاَّ ما حملت ليلاتٌ أخرى
فارجعن إلى الدور

« فى هيئة تمثيلية »

هل تأذن مولاتى أن نشرب كأس نبيذ قبل الأكل

الأميرة :

« مسترجعة هيئتها الملكية »

لا بل كأساً من ضحكك تجلو طيف القلق عن القلب

يا مفطوره
قولى واحدةً من نُكَتِك

الوصيفة الأولى :

فاسمعن إذن أحدث نكته
رجل قال لزوجته
البدر يفوقك حسنا
قالت زوجته
لم لا تذهب لتَحُلَّ سراويل البدر
بدلا من حَلِّ سراويلى

« يضحكن »

الوصيفة الثانية :

لا بأس بها ، لكنى أعرف أخرى مضحكة جداً
رجل قال لصاحبه
امرأتى أشهى من كل نساء البلدة
فأجاب الصاحب :
هذا حق :
امرأتك أشهى من كل نساء البلده

« ضحك »

الوصيفة الثالثة :

إيه ... ما أبدع هذى النكته

الوصيفة الأولى :

الضحك لذيذ

الوصيفة الثالثة :

خبز القلب

الوصيفة الأولى :

خمر مجانية

الوصيفة الثانية :

آه لو نملك أن نضحك حتّى الموت

لو مِتْنَا فى شهقة ضحْك

الوصيفة الأولى :

دوما تَحْيَيْنَ على ذكر الموت

حتّى فى لحظات البهجة

الوصيفة الثالثة :

إيه يابنتىّ

فلنغتنم اليوم ، فإنّا لاندرى مايحمل صبح الغد

الوصيفة الثانية :

اعتدنا ألاّ يحمل إلاّ وطأة تذْكارات الأمس

الوصيفة الثالثة :

أوه ... تنحرفين دواماً عن دورك
كذوات الطبع المأساوىّ جميعاً
تنزلقين من البهجة للحزن ، كما تنزلق السمكةُ فى الماء
فلنضحك

الوصيفة الأولى :

حتما ، فلنضحك

الأميرة :

فلنضحك

« لا يضحك أحد »

الوصيفة الأولى :

لِمَ لا تضحك مولاتى ؟

الأميرة :

لِمَ لا تضحك أم الخير

الوصيفة الثالثة :

لم لا تضحك بره

الوصيفة الثانية :

لم لاتضحك مفطره

الوصيفة الأولى :

أنا أضحك ، لكنْ بره ...

الوصيفة الثانية :

أنا أضحك ، لكنْ أم الخير

الأميرة :

فلنضحك جمعاً فى صوت واحد

الوصيفة الثالثة :

هه ... سأعد ثلاثة

الأميرة :

لنفوِّت لعبتّها ، ولنضحك قبل العد

« ينخرطن فى الضحك الى آن يبكين ، وفجاة تصبح الخطى قريبة واضحة ، وكانها نمت فى وسط الضحك ، حتى أصبحت فى ساحة الكوخ » .

الوصيفة الثالثة :

صوت خطى تتّردد فى الساحة

خطواتٍ مبطئةٍ متئده

الأميرة :

ليست خطواتِهْ

الوصيفة الثانية :

لا يعرفنا أحد فى وادى السرو

الوصيفة الأولى :

أو نعرفُ أحدا

« طرق على الباب »

الوصيفة الثالثة :

من بالباب ؟

الصوت :

رجل يا سيدتى

الوصيفة الثالثة :

من . . ؟

الصوت :

اسمى لا يكشف شيئاً

الوصيفة الثالثة :

لكنْ ... لكَ إسم

الصوت :

اسمى .. اليومَ قرندل

الوصيفة الثالثة :

ماذا تصنع فى هذا الوادى ؟

الصوت :

أتجول

الوصيفة الثالثة :

شراً تنوى أم خيراً ؟

الصوت :

لا أنوى إلا ما تبغين

الوصيفة الثالثة :

أدخل

« يدخل رجل نحيل ، رث الهيئة ، عليه تراب الفقر والسفر » .

الوصيفة الثالثة :

هل ضلت خطواتك فى الغابة ؟

القرندل :

بل هذا قصدى

الوصيفة الثالثة :

ماذا تبغى ؟

القرندل :

أن أنْفِذَ ما أوحاه الصوت
حين تَقَدَّمَنِي فى الغابةِ حتى أوْقَفَنِي فى باب الكوخ

الوصيفة الثانية :

لكنّا لا ننتظرك

القرندل :

أنبأنى الصوت
عمَّن تتأهبن للقياه

الأميرة :

من .. ؟

القرندل :

لا أنطق باسمه
إلا إن أصبح ظلى فى عينيه

الأميرة :

هل سيجىء الليله ؟

القرندل :

« ينحنى ليلصق أذنه بالأرض »

لا أدرى

ها أنذا ألصقُ أذْنى بالأرض
فلعلى أسمعَ من باطنها وقعَ خطاه

الأميرة :

أسمعت .. ؟

القرندل :

فى كل سبيل

الأميرة :

هل يصبح ظلكَ فى عينيه الليله ؟

القرندل :

لم ينبئنى الصوت
هل أجلس فى هذا الركن ؟

« دون انتظار الجواب يجلس فى ركن المسرح الأمامى الأيسر ناظرا للباب ، وموليا ظهره للجمهور »

الوصيفة الثالثة :

هل لكَ فى لقمة خبز ؟

القرندل :

خبزى لم ينضج بعد

الوصيفة الثالثة :

ومتى ينضج خبزك

القرندل :

حين أغنى

الوصيفة الثالثة :

ومتى ستغنى

القرندل :

إن فَرَغتُ أغنيتى

الوصيفة الثالثة :

ومتى تفرغ أغنيتك ؟

القرندل :

ما زالت شذْرات لم تتلاءم بعد
ويحيرنى آخرُ سطر فيها حتى الآن

الوصيفة الثالثة :

رجل أنهكه الفقرُ ، وأضوى عقله
يهذى ، لايدرى ما ينطقُ به

الأميرة :

إنى أتوجس من هيئته أمراً

الوصيفة الثالثة :

شرا أم خيرا ... ؟

الأميرة :

لا أدرى ، لكنى أشعر أن حروفَ حديثه ...
تطوى أشياءْ

الوصيفة الثالثة :

لا تطوى إلا فقره
فدعيه ملقى فى ظل الحائط حتى يرحلْ
لِنعُدْ لمواجدنا الليليه

الوصيفة الأولى :

بالترتيب ؟

الوصيفة الثالثة :

بالترتيب
ماذا كنا نفعل قبل مجيئه ؟

الوصيفة الثانية :

كنا قد أتممنا دورَ الضحك المفضى للدمع

الوصيفة الثالثة :

فالآن أوان الحفلهْ
« تصفق بيديها »
الحفله . . . الحفله

« تجلس الوصيفتان الأولى والثالثة على الأرض في الظلام ، وتنهض الأميرة متهادية لتتمدد على المائدة فى وضع اغراء ، بحيث تبدو المائدة كسرير ، وتختفى الوصيفة الثانية لحظة لتعود ، وعلى وجهها قناع رجل فى كمال العمر ، ذى شارب كثيف ، وهيئة متحدية » .

الأميرة :

وأخيراً جئتَ بعد أن جُنَّ نهارى
بشقائى وانتظارى
وتعجلتُ المنيهات إلى الليل ،
تمنيتُ لو اسطعت اختصار الأفق الممتد فى لحظة ضوء
تنطفى فى نفخة مثل انطفاء الشمعدان
آه لو أملك للشمس — عَدُوِّى الشمس — أمراً وقضاء
آه لو أملك أن أحبسها تحت سريرى
حيث لا تسمع ديك الفجر إذ يعلنُ ميلادَ الضياءْ
آه لو أملك أن أحبس أنفاسى ، وأغفو طول عمر النورْ
فاذا ما أظلم الليل ، تَبرجتُ على غصنى
تنفستُ نسيم الليل ، أورقتُ انتشاءً وسرورْ
ليلكة الظل أنا
عابدة الظلام
الزهرة التى تخاصم السنا
وتعشق القتام

الوصيفة الثانية :

« تحنى رأسها فى صمت »

الأميرة :

وأخيراً جئتَ يا نهر حياتى
فاسق جلدى ، شققته الشمسُ حتى صار كالأرضِ البوارْ

الوصيفة الثانية :

« تمد يدها على ذراع الأميرة »

الأميرة :

« وهى تنهض قليلا ، وتتحسس الوصيفة من وسطها الى وجهها »

آه ، تبدو مثل رمح مشرع تم استواء ومضاءَ
آه ، تبدو مثل سيف مرهفٍ قد زاده الصقل جلاءَ
آه ، تبدو كإله طيبٍ قاس نبيل
آه ، تبدو شجره
آه ، تبدو قمرا حلوا مطلا
آه ، تبدو كل شىء زار أحلامى وأحلى

الوصيفة الثانية :

« تمد صدرها الى صدر الأميرة »

الأميرة :

أترى صَدْرِيَ يرضيك استواءً واستداره
حتملك العاشق يبغيك كما تبغيه
فتلمسه ، تحسسه ، وأوجعه ، فقد تُنْبِتُ فيه
زهرةً عاطرة تغريك أن تقطفها ، تطبعَ منها
وشمةً فى صدرك المفرودِ كالقَلْعِ على بحر الجساره

الوصيفة الثانية :

« ترفع الأميرة اليها .. »

الأميرة :

آهِ علقنى بأكتافك كالعِقْدِ ، وداعبنى ، وانثرنى حباتٍ
وبعثرنى على جسمك موسيقى ونورا
ثم للمنِى وانظمنِى فى حَبْلِ امتلاكك
وتحسسنى واختمنى بختمك
وليعدْك الغَدُ لى طفلا شقياً وجسورا

الوصيفة الثانية :

« تترك الأميرة لتسقط أمام السرير ، وتبتعد عنها خطوة » ..

الأميرة :

ترخى جفنيك كأنك م موم

تتمدد فى وجهك غيمة ضيق مكتوم

بم أغضبتك ؟

هل أبدو ساذجة لا تعرف أسرار الحب ؟

أم أبدو مسرفة فى إظهار عواطفها ؟

علمنى ما أفعل

لكن لا تتركنى

الوصيفة الثانية :

« تبتعد خطوة أخرى واضعة يدها تحت ذقنها »

الأميرة :

هل تعشق أخرى طافت ذكراها فى عينيك

فحجبتَ صفاءهما عنى . .

ويلى ! لو كان الأمر كما أخشى

فسأقتل نفسى

الوصيفة الثانية :

« تبتعد خطوة ثالثة ، ثم تظل تشير بيديها كأنها تتحدث » .

الأميرة :

ماذا . . . ؟

لا ترضى أن تأتينى فى السر كما يأتى اللص

إذ تتحين نوم الحراس ، وتستخفى فى ظل الجدران؛
تبغى مفتاح القصر

الوصيفة الثانية :

« تستأنف نفس الاشارات »

الأميرة :

لكنّ أبى يحفظ مفتاح القصر وخاتم ملكه
تحت وسادته حين ينام

الوصيفة الثانية :

« متجهمة ، تبتعد خطوة اخرى »

الأميرة :

ويحى ، لا أدرى ماذا أفعل
لم أعتد أن تمتد يدى فى فرش أبى

الوصيفة الثانية :

« تستدير متجهة للانصراف »

الأميرة :

سأقودك للغرفه
وستأخذه أنت

« تهبط الأميرة عن المائدة ، وتدور هى والوصيفة الثانية ، دورة حولها ، لتجد الوصيفة الثالثة ، وقد ارتدت قناع الملك الشيخ ، تصعد الى المائدة ، وتغفى فوقها ..

تتقدم الأميرة ، والوصيفة الثانية نحـــو الوصيفة الثالثة ، تتأخر الأميرة لتمد الوصيفة الثانية يديها نحو المائدة . وتتحسس بها عنق الوصيفة الثالثة (الملك الشيخ) ...

ينطفىء النور ، ليضىء على صرخة الأميرة »

الأميرة :

ويلاه

أقتلت أبى . .

وسلبت الخاتم حتى ترفعه فى وجه الناسِ ،

وتحكمَ به . .

ماذا أفعل

أنت حبيبى وعمادى ، وقتلتَ أبى وعمادى

أأشيرَ إليكَ ، وأدعو :

هذا قاتل مولاى

أم أطوى كفيِ ، أغرقُ سرى فى دمعى المكتوم

أتكلم أم أصمت

أوجع من هذا كله

أأحبك أم أبغضك

الوصيفة الثانية :

« تستدير الى الأميرة محاولة اقناعها »

الأميرة :

ماذا ؟

تبغى أن أنبأهم أن أبى حين أحسَّ الموت

ناداك إليه ، وأوصى لك بابنته . . بى . .

وبملكه . . . !

أسلمكَ الخاتم والمفتاح

أتناشدنى الحبَّ ولذاتِ الماضى ووعودَ المستقبل

لا ... لا ... لا أقدر

بل ما أعجزَنى أن أفقدكَ وأفقدَه فى ذات الوقت

يكفينى فى اليوم الواحد جرح واحد

ليكن ما تبغى ، ولندع كبير الحراس

« تظهر الوصيفة الأولى ، وقد ارتدت قنـــاع كبير الحراس يتبادل الثلاثة الاشارات ، ثم تنصرف الوصيفة الأولى مطرقـة طائعة »

الأميرة :

والآن أخرجْ حتى أبكى رجلى المقتول

وأزفَّ إليك مطهرةً بدموعى

يا رجلى القاتل

أخرجْ ... اخرجْ

« تنهار الأميرة فى بكاء جارف على سرير الملك الميت ، بينما تخلع

«الوصيفتان قناعيهما وتقفان وراء الأميرة ، وتبكيان ، ويتردد البكاء في ايقاع موحد ، وفي أثناء ذلك يدخل من ينتظرنه ... السمندل»

السمندل :

آهٍ ، كدت أضِلُّ طريق الكوخ
لولا أن قادتني أشجار السرو
ما هذا .. ؟
حفل بكاءٍ ، هل مات أحد
أم أن النسوة يبكين ليملأنَ القلبَ الفارغْ

« تعقد مفاجأة دخوله ألسنة النساء ، وتخلع الوصيفة الثالثة قناعها ، وتهب واقفة ، بينما تلتفت الأميرة والوصيفتان اليه »

السمندل :

حقٌّ ما خمَّنْتْ
الميت وهمي والدمع غزير

الأميرة :

أنت .. ! ؟

السمندل :

لا يعرفني أحد مثلك

الأميرة :

ما جاء بك الليلة

السمندل :

قلبٌ يبحث عن أضلاعه

الأميرة :

هذا ما أعددتَ من الكلمات لتلقانى

تنفخ فى كلماتك كالفقّاعَات

حتّى تصبحَ فارغةً براقة

السمندل :

ما هذا صوتى ، بل صوت الحب

الأميرة :

أرجوك . . لا . . لا . .

لا تفسدها

السمندل :

أفسد ماذا . . ؟

الأميرة :

اللحظة

انظرن صديقاتى

انتظرت كلُّ خلايا جسمى لمسةَ هذى اللحظهْ

انتفض دمى يتشهى رعشتَها النارية من أزمان

دار حوالَىْ مقدمها المتسربل فى غيب الليل

نومى ومقامى
أكَلَتْ هذى اللحظةُ من أرقى ، شَرِبَتْ منعطشى ،
لبست أيامى

علقت بذروتها الموعودة عُنقى
وتدليت لأنتظر القادم ذات مساء
كنت أقول لنفسى :
هل يأتى منتقما أو مزدريا أو مكتئبا أو منكسرا أو
ندمانا أو مجروحا أو محتضرا . . .
لكنْ وا أسفاه
ها هوذا يأتى متشحا بالكِذْبِ كما اعتاد
قد عامت فى شفتيه الألفاظ
لامعةً ومراوِغَةً كالزيت
وا أسفاه ، ما زلت كما أنت
أوه ، اذهب عنى . . لا . . لا تذهب . . اذهب . .
اذهب

أغفر لك كل خطاياك
إلاَّ أنْ تفسد لحظة صدق

الوصيفة الثالثة :

عجبا ،
تذكر أن قد أفسد لحظتها الموعوده

لكن تنسى أن قد أفسدَ كلَّ العمر

السمندل :

صمتاً يا شمطاء

لم أفسده ، لكني انضجتُهُ

صارت بنت العشرين

تحت جناحي امرأةً حافلة بالشهوة والنار

بالمتعة والعار

بالحب وبالبغض

بالرغبة والرفض

الوصيفة الثانية :

أنت قتلت أباها . .

السمندل :

ها . . ها . .

لم أقتله ، لكنّي عَجّلْتُ بموته

كان هباءً منثوراً فوق مُلاءَتِه المهترأه

ما كدتُ ألامسُهُ حتى طار على أجنحه الموت

الأميرة :

ما أغرَبَ ما خدعتني عيناي

كم أنت ثقيل الوطأة حين تريد استعراض ذكائك

السمندل :

كان أبوكِ مريضاً منذُ رأت عيناكِ النور
كان العامة حين تدور الكأس يقولون :
إن السوس الناخر فى أخشاب المخدع
قد جاوزها ليعربد فى ساق الملك الخشبية
بل كان البعض يقولون :
إن ضموراً قد مس الأعضاء الملكية
حتّى ضاقت كتفاهُ ، وقصرت كفاه
بل قد شاعت شائعة أنْ هزلت ساقاه
حتّى صارت ساق الملك الخشبية
أقصر من ساق الملك الأخرى الحيه
بل قالوا أنْ لحيته قد سقطت
أن قد برز له نهدان

الأميرة :

جلف أيضاً

السمندل :

مست رأسى الفكرةُ ذات مساء
كنا نسمر فيه نحن الحراس
فى نوبتنا فوق السور
وسمعت القائل :

الملك سيمضى ، لم ينجب ولدا كي يخلفه فى عرشه
كى يرفع خيمته المنهاره

الأميرة :

ولهذا قدمت إلىَّ الحب ... بلا حب

السمندل :

عشرَ سنين ... يا طفله
لكنى ... كنت أحبك

الأميرة :

لم أصبح طفله

السمندل :

بللت عروقَك بالحلوى والقبلات
حتى دارت أثمارُكِ فى ثوبك
فهززتُ غصونَكِ ، فانفرط العقد

الأميرة :

لا يحكى عن مضجعه إلا رجل وغد

السمندل :

أنا لا أحكى
لكنى أتذكر
أذكر حين أملتك نحوى أول مره

واهتز النهدان كما يرتجف العصفور المبتل
وتمايل قدك كالغصن المثقل.
هذا كان
فى العام السادس من صحبتنا
اذكر حين تمددنا عريانين لأول مره
وتعانقنا حتى مات الظل ومات النور
فى جفنينا
هذا كان فى العام الثامن من صحبتنا
كنت تقولين إذا داعبك الحب فأيقظ أوتارك :
يا قمرى العريان
يا وردتى الملتهبة
يداك حبل وضلوعى عربه
قدنى إلى حدائق النيران . .

الأميرة :

صه ... اصمت

السمندل :

بل أذكر أنك ذات مساء همهمت بأذنى
أمطر فى بطنى طفلا . .

الأميرة :

أرجوك . . اصمت

السمندل :

أذكرتِ .. ؟

الأميرة :

ذكرت

السمندل :

ولهذا جئت

الأميرة :

ماذا ... ؟

السمندل :

كى نصنع أياماً أجمل مما فات

الأميرة :

ولماذا جئت الليله ؟

السمندل :

كى نبدأها الليله

الأميرة :

مسكين !

السمندل :

هذا حق

فأنا من دونك لاأدرى لى حضنا أرقد فيه

أنسى فى نضرته الأيام الجهمه

الأميرة :

وأنا مثلك

هل سنعود إلى سالف عهدينا ؟

السمندل :

أصْفَى مما كنا ...

الأميرة :

هل تكسرُ بابَ الزمن الميت

وتبلل أحزانى بالحلوى والقبلات

هل ستعيد إلىَّ الطفله

السمندل :

إنْ عدت إلى حبى

الأميرة :

لكن . . . قل لى

ما أحوال القصر

السمندل :

فى خير

الأميرة :

لِمَ تتهاوى نبرةُ صوتِكَ تحت حديثك

وكأنّكَ ترهقُها بالكِذْب

السمندل :

بل فى خير جدا

الأميرة :

والحراس . . . ؟

السمندل :

يرتجفون إذا ذُكِرَ اسمى

الأميرة :

والقادة والجند . . . ؟

السمندل :

ينكمشون لمرآى

حتى تدخل أعناقهمُ فى أرجلهم

الأميرة :

ما زالوا يبتلعون القصة ؟

السمندل :

أيةَ قصة . . ؟

الأميرة :

قصة موت الملك المقعد

من بعد وصيته لك

السمندل :

ماذا تعنين ؟

لا أعني شيئاً ، لكنّي أسأل
أرجوكَ .. اصدُق مره
لا من أجلي ، بل من أجلك أنت
ولنبدأ منذ البدء
لم جئت .. ؟

السمندل :

هل ما زلت على حبي . . ؟

الأميرة :

لا تنسى المرأة أول رجل باتت ساخنة فى كفيه
تستخفي ذكراهُ كما تستخفي الدّوامةُ فى الماء

السمندل :

أنا مقهور يتشقق مُلكي من حولي كلحاء الشجرة
أنكرني الحراس . .

الأميرة :

والقادة والجند

السمندل :

هجروني . .

الأميرة :

ماذا لو عدت معك

السمندل :

قد يصفو الأمر

الأميرة :

لك . . ؟

السمندل :

لنا . . .

الأميرة :

كيف . . ؟

القرندل :

« يهب من ركنه المظلم فجأة »

ها قد تمت أغنيتى

فاسمعن مقاطعها

السمندل : « للأميرة »

من هذا . . ؟

القرندل :

لا تشغل نفسك بى

كن ضيفى فى أغنيتى

السمندل :

من أنت ؟

القرندل :

اسمى لا يعنى شيئاً

السمندل :

ماذا تعمل ؟

القرندل :

لا أعمل شيئاً
أحياناً أتأمل فى الشمس إلى أن تَغـْرُب
أو فى الليل إلى أن تُشْرِق
أرقُصُ أحياناً فى أفراح الخلان
أحياناً أكتب

السمندل :

ماذا تكتب ؟

القرندل :

ما يحدث

السمندل :

هل تسكن فى هذا الوادى .. ؟

القرندل :

بل عندى عمل سأؤديه
فأنا الليلةَ مَدْعُوٌّ أنْ ألقَى أغنيتى

السمندل :

مدعوٌّ ، ممن ؟

القرندل :

هل تسمعُ صوت الريح ؟

السمندل : « للأميرة »

أدعوتِـه . . ؟

القرندل :

أدعوتَ الريح

اسمع . . هى أيضاً تحكى

اسمع . ! اسمع !

السمندل :

ماذا تحكى الريح . . ؟

القرندل :

ما يحدث

السمندل :

رجل مجنون

القرندل :

بل شاهد

السمندل :

ماذا تبغى

القرندل :

أن يصبح ظِلِّى فى عينيك

السمندل :

من أيه أتيتُنَّ بهذا الرجل المجنون
هيا نذهب ياحلوه

الأميرة :

ووصيفاتى .. ؟

السمندل :

فليتبعنّك فيما بعد
سنحث الخطو إلى القصر
ندرك أول خيط الفجر
وسنخرج فى الصبح إلى الميدان ، وكفانا معتنقان
ونقول لهم : إنّ أميرتهم قد عادت
خلعَتْ ثوب الغفران على عاشقها المثقل بالذنب
فتلقاهُ عاشقها المثقل بالذنب بأجلى آيات العرفان

القرندل :

« ممتقعا ، وقد امتدت قامتـه النحيلة ، وبان عليـه غضب وحشى »

لا .. لا .. أرجوك
طعنتْ قلب مدينتنا ذات مساء كِذْبه
فاعتلت واسترخت مثقلّة بالجرح

والليلة ، قد تهوى أنهارا وتلالا ومنازل
لو وُلدتْ فى ساحتها أخرى

السمندل :

أصمت يا مجنون
هيا .. هيا

القرندل :

واأسفاه .. لابد وأن ألقى أغنيّى

« يندفع القرندل نحو السمندل ، ويحيط رقبته بأصابعه ، ثم يحدق فى عينيه »

هذا ظلى فى عينيك
ياسمندل

« يستل القرندل سكينا من ثيابه ، ويدفعها فى صدر السمندل »

خذ .. هذا آخر مقطع

« يتهاوى السمندل على المائدة ، ويستدير القرندل الى النسوة المندهشات »

تمت اغنيّى
استودعكن الله

« يتجه نحو باب الكوخ ، ثم يستدير قبل أن يخرج ليرى الأميرة تقف متهاوية »

أوه .. لايجمل بى أن أنسى
هذا تذييل لاتكمل أغنيتى دونه
يا امرأة وأميره
كونى سيدة وأميره
لاتثنى ركبتك النورانية فى استخذاء
فى حقوى رجل من طين
أيا ما كان
وغدا أوشهما
عملاقا أو أفاقا
ولتتلقى ألوان الحب ولاتعطيه
اضطجعى مع نفسك
ولتكفك ذاتك
ليكن كل الفرسان الشجعان
ممن يحلو مرآهم فى عينيك
لك خداما لاعشاقا
أو عشاقا لامعشوقين

« يخرج »

الأميرة :

« وهى تبكى بجانب الفراش ، وتقبل السمندل »

آه .. ما أصدقه ميتاً

أنظرن .. ماتت بسمتُه الفاتنةُ اللزجه
وبدا مرتعدا مذعورا فى صدق فاتن
آه ... ما أجمله ميتة
إذ يتكوَّمُ فى فرشى كالوعل المرهق
فلأغلق نافذة الرعب

« تغلق عينيه »

ولأثنى ذراعىْ حذر لم ينفع
ولأرفع ساقين أحبَّا أن يرتفعا
حتّى لوخاضا فى عمق الطين
أوه ، ما أشبهه فى ضجعته بأبى
أنظرن .. وباركن
اكتملت لحظتى الموعودة حتّى سحقتْ نفسى قطعا

« تتهاوى جالسة بجانب الجثة ، وقد ادارت ظهرها للجثة ، تلمع على وجهها ابتسامة بالغة الصفاء ، وعيناها مغلقتان كأنها تحلم .. »

الوصيفة الثالثة :

« مندفعة نحو الأميرة »

مولاتى .. مولاتى

الأميرة :

« كأنها تفيق من حلم ، وقد أدارت ظهرها للمشهد السابق كله »

ماذا ... هل سرق النوم الخادع نزهتنا الفجرية ؟
هل أخلفنا ميعاد البلبل والطل ؟

الوصيفة الثالثة :

لا . . يامولاتى .. لكن

الأميرة :

لكن .. ماذا ؟
لا تبتئسى ياأم الخير
فسندرك أول خيط فضىّ
وسنملأ كأسينا من ذوب اللؤلؤ فوق خدود الزهر
ونعود إلى القصر قبيل الموعد

الوصيفة الأولى :

الموعد . . . !

الأميرة :

أوه . . لا تنسى أنى امرأة وأميرة
بل سيدة وأميرة
ومن الواجب أن أخرج فى الصبح إلى الميدان
كى يستجلى أتباعى طلعتىَ النورانية

الوصيفة الأولى :

معذرة يامولاتى

الأميرة :

استمتعنا وتنزهنا
وخلعنا عن أنفسنا عبء التدبير وهمّ التفكير
وغفونا كالأطفال إذا طعموا ما يكفيهم من زاد ومناغاه
ما الوقت الآن ؟

الوصيفة الثانية :

« تتجه الى الكوة ، وتفتحها ، وتنظر »

الفجر على مرمى سهم

الأميرة :

فلْتحز مَنْ متاع الرحلة
هل أسرجت العربة يا أم الخير

الوصيفة الثالثة :

مولاتى . .

الأميرة :

لا بأس
فسأمشى فى طرقات الغابة حتى أبواب القصر
وسأدخل ساحة قصرى مترجلة حتى أتلقى من خدمى ورعاياى
ما يبهج نفسى من حب وخضوع
هيا . . هيا . .
اسرعن

« تنشغل الوصيفات فى جمع المتاع القليل ، بينما يتماوج صوت استيقاظ الغابة حول الكوخ ، وتنتبه اليه الأميرة ، فتستدير نحو الوصيفة الثالثة »

الأميرة :

ما هذا يا أم الخير .. ؟

الوصيفة الثالثة :

الغابة تستيقظ يا مولاتى الحاوه
تتمطى حين يداعبها نور الشمس الناعم
أصوات نألفها كل صباح

الأميرة :

لا ياأم الخير
ماهذى أصوات الغابة
بل هى أصوات رعاياى
يسعون إلى كوخى فى الصبح الرطب
حتى يستجلوا ضوء الساعات الوردية
، نا فى وسطهم ، بين جوانحهم ،
ى ظل عيونهم المملوءة بالحب
ما أوفى قلب رعاياى
/ أتركهم إلا ليلة
لكنهم أفتقدونى
للأخرج لهمُ ، فكفاهم ماانتظرونى
أسرعن . . صديقاتى . . ما هذا الإبطاء
إنى آمركن . عفواً . . أنتن صديقاتى . . إنى أ، جوكن
نكن . . نظرن إلىّ قبيل تجلى لأحبائى ورعاياى "

هل مازلت كما عهدونى
هل مازلت الفاتنة الحلوه
هل أبدو سيدة وأميره

الوصيفة الثالثة :

إنك أبهى من أبهى مارأت العين
وكأنك سويت من الفضة ، الأضواء

الوصيفة الثانية :

مازال لك القلب الذهبى المتدفق بالحب
وكأنك نبع فياض بالرقة والنعماء

الوصيفة الأولى :

تبدو طلعتك النورانية كالصبح الوردى
تتنفس عطراً فى أكمام الزهر
وحياةً فى أوراق الأشجار الخضراء

الأميرة :

شكراً . . شكراً
فلأتقدم لاستقبال رعاياى
حين تولى الأيامُ المرة ، لم تترك فينا أثراً . .
فهى — وإن طالت ليست إلا حلماً
والآن

لاتنسين صديقاتى أن تغلقن على أشباح الحلم الموثم
هذا الكوخ المعتم
لاتنسين
أغلقن الباب على ليلة أمس
أغلقن الباب على الظلمة
أغلقن الباب على الماضى
لاتنسين
أغلقن الباب على الماضى

« ستار »

« تذييل »

● كتبت هـــذه المسرحية في عام ١٩٦٩ ، فى أوائله ، وقدمها مسرح الجيب القاهرى فى الموسم المسرحى لعام ١٩٧١ . وأخرجها الأستاذ نبيل الألفى ، وحين قرأناها معا ليمضى الأستاذ المخرج فى انفاذ تصوره للمسرحية كان رأيه أن النهاية ليست حاسمة ، وكانت المسرحية تنتهى قبل المشـــهد الأخير ، بكلمات الأميرة التى تطلب فيها من وصيفتها الكبرى أن تعد متاع الرحلة ، ثم تناشد وصيفاتها الاسراع .

قال الأستاذ المخرج ، ان الأميرة ستعود الى مدينتها ، فهل تراها تعود لتستمتع بلذة الحكم أو بلذة أداء الخير نحو أبناء مدينتها ، وهل لم تزدها هـــذه التجربة المريرة وعيا بمسئوليتها ، وأثار

الأستاذ المخرج ذلك النزاع الاغريقى القديم ، حول الحكم لذات الحكم ، والحكم لصالح المجموع ..

وأدرت الأمر فى ذهنى ، ورجح عندى اضافة مشهد ختامى ، لا للسبب الذى ساقه المخرج فحسب ، بل لسببين آخرين ، أولهما أن اللحظة التاريخية لعرض المسرحية كانت تختلف عن لحظة كتابتها ، وكان العرض فى حاجة الى أن يقول كلمة ما تواكب هذه اللحظة .

وثانيهما أنى كنت قد أدركت من عرضين سابقين لأعمالى المسرحية أن من الواجب أن يكون اسدال الستار فى مسرحنا حادا بعض الشىء ، فالستارة الهادئة لا تكاد تناسب مزاجنا .

وهكذا أضفت هذا المشهد الذى يبدأ بأصوات استيقاظ الغابة ، وينتهى باسدال الستار على أشباح الحياة فى هذا الكوخ المعتم .

● فى المسرحية ثلاثة مستويات من الأداء المسرحى ، أرجو أن يوفق الى تبينها من يتصدى لتقديمها .

الأول : هو مستوى الحياة التى يعيشها هؤلاء النسوة فى الكوخ ، بعد أن دفع بهن الى منفاهن .

والثانى : هو مستوى استرجاعهن لحياتهن فى قصر الملك ، حين كانت الأميرة لاتكاد تفطن الى وجود وصيفاتها معها ، والنسوة يقمن ببعث هذه الحياة كل ليلة فى صورة « مواجد ليلية » ، ليشعرن بالندم على ما اقترفن ، فكأن هذا الأداء مقدمة للمستوى الثالث ، وهو التمثيل لليلة الحاسمة « ليلة

مصرع الملك الشيخ ، وهو المشـــهد الذى يؤدى بالأقنعة .

وقد كنت أريد أن أكتب حوار كل مستوى من هذه المستويات بخط مختلف عن خطى المستويين الآخرين، ولكن ما الى ذلك سبيل ، فلأقنع بالاشارة الى ذلك .

● أرجو أن يتبين القارىء فى كل وصيفة من الوصيفات الثلاث شخصيتها . فالأولى عاشــقة للأميرة ، قانعــــة بعذابها معها ، والثانية ينتابها الشك ، وتكاد تريد أن تخرج من التجربة كلها ، أما الثالثة ، فهى بديل للأم فى عطفها ومحاولتها رعاية الأميرة وتفهمها .

أما الشخصيات الثـلاث للأمــيرة والقرندل والسمندل ، فما هى بحاجة الى توضيح ...



مسافر ليــل

((كوميديا سوداء))

المنظر :

عربة قطار ، تندفع فى طريقها على صوت موسيقاها

الزمان :

بعد نصف الليل

الشخصيات :

الراوى

المسافر

عامل التذاكر

((على جانب المسرح أى فى ركن العربة يقف الراوى ، مرتديا حلة عصرية بالغة الاناقة .. وردة .. أو رباط عنق لامع أو صــدار مقلم أو ســوار ســاعة ذهبى ، أو كل هــذه الحلى والزواقات .. وجهه ممسوح بالسكينة الفاترة ، صوته معدنى مبطن باللامبالاة الذكية

على أحد مقاعد العربة يجلس المسافر ، نموذج للانسان بلا أبعاد. الانسان الذى لا نستطيع أن نصف الا ملامحه الخارجية ، فنقول انه بدين أو نحيف طويل أو ربعة ، أشقر أو أسمر ، وكل هذه الأوصاف سواء

أما عامل التذاكر ، الذى سيظهر بعد قليل ، فهو رجل مستدير الوجه والجسم ، عليه سيماء البراءة التى تثير الشبهة)) .

الراوى :

بطل روايتنا ومهرجها رجل يدعى . .

يدعى مايدعى
ماذا يعنى الاسم
والوردة مهما يكن الاسم ستنشر عطرا
والقنفذ مهما يكن الاسم سيدخل فى جلده

صنعته . . أية صنعه
ولنحكم من هيئته وثيابه
وعلى كل ، فالأمر بسيط
صنعته . . . أية صنعه

وهو يسافر فى آخر قاطرة ليلية
نحو مكان ما
ويعد عواميد السكه
واحد . . اثنين . . تلاثة . . خمسة . . مائه

ها هوذا يتململ سأمانا
إذ لاتستهويه اللعبة
فيجرب أن يلعب فى ذاكرته
يستخرج منها تذكارات مطفأة ، ويحاول أن يجلوه
أسفاً ، لا تلمع تذكاراته !
يدرك عندئذ أن حياته

كانت لا لون لها
يُسقط من عينيه أيامه
تتبدد دوامات فوق حديد الأرضية
لا تتكسّرُ قطعا وشظايا
إذ ليس هنا لك شيءٌ صلب
تراك . . تراك . . تراك

يتذكر مسبحته

يستخرجها من جيب السروال الأيمن
تهوى من يده ، يتفقدها باصابعه ،
فتروغ لترقد بين الكرسيين
يجهد أن ينقذها ، فتغوص . . تغوص . . تغوص . .
ويظل يفتش حتّى تتنثر مسبحته حبات
تتساقط فوق حديد الأرضية

تراك . . تـ اك . . . تراك . .
يخرج من معطفه جلد غزال دُوِّنَ فيه التاريخ بعشرة أسطر
تستوقفه بضعة أسماء
كانت أحرفها البارزة السوداء
تلمع فوق الجلد المتغضن

الراكب :
الأسكندر
« تلك . . . تلك . . . تلك . .
هانيبال

« تاك . . . تك . . . تاك »
تيمور لنك
« تاك . . تك . . . تك »
هتلر . . متلر . . جونسون . . مونسون
تك . . تك . . . تك
الاسكندر . . الأسكندر . . . الأسكندر

الراوى :

معذرة . .لاينفصل الانسان عن اسمه
فالعظماء يعودون إذا استدعيتهم من ذاكرة التاريخ
لتسيطر عظمتهم فوق البسطاء
والبسطاء يعودون إذ استدعيتهم من ذاكرتك
ليكونوا متنزه أقدام العظماء
ولذلك خير أن ننسى الماضى
حتى لانحيا فى المستقبل
حتى لايخدعنا التاريخ
ويكرر نفسه

الراكب :

الإسكندر .. تك .. تك .. تك
الإسكندر .. تك .. تك .. تك

« يرتفع صوته كأنه يستجيد نغما ، وتلمع فى ركن العربة المواجه للراوى ، دائرة ضوء ، يظهر فيها عامل التذاكر بثيابه التقليدية الصفراء »

عامل التذاكر :

من يصرخ باسمى ، من يدعونى
من أزعج نومى فى زاوية العربة
أنت .. ؟

الراكب :

معذرة .. من أنت ؟

عامل التذاكر :

أنا الإسكندر
فى صغرى روضت المهر الجامح
فى ميعة عمرى روضت أرسطاليس
حين بلغت شبابا روضت العالم

الراوى :

الراكب تسرى الدهشة فى فكيه وعينيه
وجه مرسوم فى إعلان
بل هو خائف
للانصاف قليلا
وهو يقول لنفسه

الراكب :

هذا البرميل الأسمر فى الكيس الكاكى .. ؟
الإسكندر .. لا .. لا ..

الراوى :

الراكب يتأرجح كالميزان المهتز
حتى ترجح كفةُ شكه
كفةَ خوفه

الراكب :

مرحى يا اسكندر ... هل أكثرت من الشرب

عامل التذاكر :

لاتعرف قدرى .. ياجاهل
قسماً ، سأروضك كما روضت المهر الجامح

الراوى :

تمتد يد الإسكندر فى الجيب الأيمن
يستخرج سوطا ملفوفا
تمتد يد الإسكندر فى الجيب الأيسر
يستخرج خنجر
تمتد يد الاسكندر فى ثنية سرواله
يستخرج غداره
تمتد يد الاسكندر فى حلقه
يستخرج أنبوبة سم
تمتد يد الاسكندر فى جيبٍ خلفى
يخرج حبلا ..
يتحسسه خجلانا ، ويقول

عامل التذاكر :

عفوا .. هذا مات به أغلى أصحابى
أعطيت صديقى الحبل ليلعب به
فأساء استعماله
هل تدرى ؟
كلماتى فى منعاه صارت من مذخور التاريخ الأدبى
لم أكتبها ، لكنى شاهدت وزيرى يكتبها
وصرفت له خبزا ونبيذا ، حتى أنهاها
حتى علمنى أن ألقيها القاء مأساويا ،
يخضع لأصول النحو
فأنا أخطئ دوماً فى الفاعل والمفعول
كان وزيرى طماعا ، إذ طالبنى بولايه
ثمنا لدخولى التاريخ ككاتب
فوهبت وزيرى الأرض بأكملها كى يرقد فيها

« يخبىء عامل التذاكر الحبل فى قبعته »

الراوى :

المشهد يتلخص فيما يأتى :-
الراكب محموم بالرعب
يتغير وجهه
مثل إشارة ضوء
والاسكندر قد عبأ جيشه
السوط وأنبوب السم جناح يمن

والغدارة والخنجر
فيلقه الأيسر
لانجرؤ طبعا أن نذكر ما فى قبعته
حتى لايغضب

عاملَ التذاكر :

لايجرؤ أحد أن يعصى أمرى..
هل تجرؤ ؟

الراكب :

لا .. يامولاى
قل لى .. بم تأمر ؟

الراوى :

قال الراكب فى نفسه
مايدرينى ، فلعل الرجل هو الاسكندر
ولعل الموتى العظماء
مازالوا أحياء
وعلى كل ، فالأيام غريبه
والأوفق ن نلتزم الحيطه
ولعلى إن لنت له أن يتركنى فى حالى
قال الراكب فى نفسه
فلأتذلل له

الراكب :

ماذا تبغى منّى يامولاى ؟

عفوا .. مثلك لايبغى من مثلى شيئا

أعنى . . بم يشملنى عطفك ؟

بم تكرمنى

هل تجعلنى سرجا لجوادك ؟

عاملَ التذاكر :

ضاقت نفسى بركوب الخيل الآن

الراكب :

هل تجعلنى فرشة نعلك ؟

عامل التذاكر :

يندر أن أمشى ، يؤلمنى اللمباجو

أتمدد أحياناً فى الشمس ، وآخذ حمام بخار كل صباح

الراكب :

فلتجعلنى فحّاما فى حمامك

أعهد لى بمناشفك الوردية

أجعلنى حامل خفيك الذهبيين

لكن لاتقتلنى . . أرجوك

الراوى :

العامل يلتمس فى ضيق أسلحته

ويمد يديه الفارغتين

فى كسل نحو الراكب

الراكب :

تقتلنى بيديك ؟ .. لا .. لا ..

أرجوك .. جربنى فى أى مهمة

اعهدلى بأخس الأشياء ..

أو أعظمها

أصنع بى ماشئت

لكن لاتقتلنى

عاملَ التذاكر :

ماذا . . ؟

لم تصرخ ياسيد ؟

هل تحلم ؟

لم تجمد كالفأر المذعور ؟

لايبدو أنك قروى ساذج

لأظن بأنك لم ترتكب قاطرة من قبل

أوه ، لم يشحب وجهك حين أمد إليك يدى

أولا تعرف ما أطلب ؟

أولا تعرفنى

الراكب :

أنت الاسكندر ...

عامل التذاكر :

ليس اسمى الاسكندر
اسمى زهوان

الراكب :

بم تأمر يامولاى الـ ... زهوان ؟

عامل التذاكر :

مذعور .. وغبى
أولا تدرك من ثوبى ماأطلب
أطلب تذكرتك
هذا عملى . . عمل مرهق
ينزعنى من فرشى فى بطن الليل
يحرمنى من نومى .. أشهى خبز فى مائدة الله
أحيانا لاتحوى القاطرة سوى حفنة ركاب
ينتثرون كأجولة ملقاة فى مخزن قطن مهجور
بل أحيانا لاتحوى إلا رجلا أو رجلين
تبدو مظلمة باردة خافتة الأنفاس ...
كبطن الحوت الميت
أعرف ذلك حين تقعقع فوق رصيف البلده

أنوار مطفأة ، وزجاج لاتلمع خلف غشاوته رأس
لـكنى أتفقدكل العربات

هذا واجب !
أتحسس جلد مقاعدها ، وأحدق فى الظلمة
أحياناً أقلب ظهر المقعد
ل إنى أحياناً أقعى كى أنظر ماتحت المقعد
بل إنى أحياناً أستخرج مطواتى ، واشق المقعد
ماذا ؟ لاأغفر أن يركب أحد دون تذاكر
ماذا ؟ هل هدأت نفسك
تذكرتك

« الراكب يكاد أن ينسى موضع تذكرته ، ويقلب جيوبه جيبا جيبا ، حتى يجدها فى كفه »

الراكب :

هذى تذكرتى

عامل التذاكر :

شكرا ... تذكرة خضراء
ومربعة تقريباً
وطريه
هذا يعنى أنك رجل طيب
هل تدرى أنى صليت المغرب ، ثم غفوت
بكامل ثوبى . . . استعدادا للنوم

حتى دق الجرس برأسى ، فتركت سريرى
لم آكل لقمه
خضراء . . شكرا لك
إنك تحرجنى إذ توثرنى ، وتفضلنى عن نفسك
كم يأسرنى الخلق الطيب . . شكرا لك

الراوى :

فانتبه الآن
فسيحدث شيء من أغرب مايخطر فى بال
العامل يفتح فمه ، يمسح وجه التذكرة بكفه
يتذوقها بلسانه . .
يستطعمها . . يتقضم منها ، يمضغها . . يبلعها يتجشأ
تتحسس كفاه معدته ، وتدلك كفاه أحشاءه
يشكر ربه
ويقبل باطن يده فى عرفان ومسره
أما الراكب . .
فمن الدهشة لا يسعفه الفكر . .
بل لا يعرف كيف يفكر
بل لا يعرف كيف يكون الفكر

عامل التذاكر :

تذكرتك . . ياسيد

الراكب :

أعطيتك إياها ياسيد

عامل التذاكر :

أين . . . ؟

الراكب :

فى بطنك ياسيد

عاملَ التذاكر :

لا ترتفع الكلفة إلا بين صديقين
فالزم حدك
أقسم أنك رجل ساخر
لكنك لن تجنى من سخريتك الا مالا ترضاه
حقا ، قد تأسرنى خفة ظلك
لكن بحدود ،
فالواجب سيظل هو الواجب

الراكب :

اقسم أنى أعطيتك إياها ياسيد

عامل التذاكر :

وأنا ألقيت بها من هذا الشباك ؟

الراكب :

لا ، بل أنت أكلتها . . .

عامل التذاكر :

إيه . . أنا . . ماذا . . ؟
علمنى سنى أن يتأخر غضبى
أن يتقدم عقلى سخطى
لكنى لا أسمح إطلاقا أن يتقدم عقلى خطوات القانون
اسمع يا . . .

الراكب :

عبده

عامل التذاكر :

اسمع يا عبده
فلنتحدث فى هذا الموضوع الشائك كصديقين
كرفيقى رحله
بدلا من أن نتحدث خصمين كما يفرض هذا الوضع المؤسف
(راكب وعامل تذاكر)
إيه ... أوسع لى جنبك
وسأخلع سترتى الرسمية حتى لا تخشانى
فلدى بعض الناس حساسية ضد اللون الأصفر
خذ نصحى كصديق :
لا تتحدث إلا فيما تبغى أن تتحدث فيه
زن كلماتك بالميزان
فكر مرات عشرا فى كل سؤال

عشرين لكل إجابة
إحذر أن يضطرب كلامك حتى لايلتف حبالا فى عنقك
لكن .. إيه .. ننتظر قليلا حتى أخلع هذا الثوب الرسمى

الراوى :

العامل يخلع سترته الرسمية
تحت السترة سترة
العامل يخلع سترته الثانية الرسمية
تحت السترة سترة
مازال اللون الأصفر فى أعيننا
ويذكرنى هذا أنى أبغى أن ألقى تعليقاً حول اللون الأصفر
تنقسم الآراء بشأن اللون الأصفر
فيراه بعضهمو لون الذهب الوهاج
ويراه بعضهمو لون الداء ، ولون الوجه المعتل
لون الموت ..

عامل التذاكر :

« وهو يجلس بجانب الراكب »

هذا افضل
الآن ، وقد ألقيت السترة نتحدث كصديقين
ماذا قلت.. سماك

الراكب :

اسمى عبده

عامل التذاكر :

وأنا اسمى .. سلطان

الراكب :

قلت إن اسمك زهوان

عامل التذاكر :

أنا .. زهوان .. لا .. لا ..
هذا اسم زميلى .. الأرقى منى
رتبة أربع سنوات
أحلم أحياناً أن أقتله وأحل محله
زوجته ناصعة الوجه ، ورابية الفخذين
وامرأتى عجفاء ممصوصه
يسكن فى الجزء المشمس فى غرب الضاحية الوردية
سكنى لابأس به
لكنى أحيانا أتململ من صيحات المارة وعواء السيارات
ماذا تعمل .. ؟

الراكب :

حريه

عامل التذاكر :

حرفه .. ؟

لم يرسلني أبواى لأتعلم حرفه

لست أجيد سوى تفتيش العربات

وعلى كل ، لم أخسر شيئا

أجر لابأس به ، يتدرج حتى سترات عشرا

قل لى ثانية.. ماسمك

الراكب :

عبده

عامل التذاكر :

ليس اسمك عبده .. إنك تكذب

الراكب :

بل إنى عبده ..

أقسم لك ..

وأبى عبدالله ، وابنى الأكبر يدعى عابد ،

وإبنى الأصغر عباد ، واسم الأسرة عبدون

عامل التذاكر :

هل معك بطاقة . . ؟

الراكب :

احفظها دوماً فى جيبى الأيمن

أقرب شيء ليدى إذ تطلب منى مرات عشراً فى اليوم
يوماً طلبوها منى ستاً وثمانين
يوماً آخر سبعين

عامل التذاكر :

أعلى رقم تسعون ، وهذا شرع القانون
وعلينا أن نتكشف كالنور
نتضح كمرآة مجلوه
وتعد لكل سؤال رداً لايملك أن يفضى لسؤال آخر
مادمت سليماً لن تفزعك الأيدى إذ تمتد إلى السله
كى تلقى بالثمر العاطب
إنك فيما يبدو رجل طيب
فاحفظ هذى الورقة دوماً فى متناول يدك اليمنى
فهى بطاقتك الشخصية
أغلى ما تملك
أرنيها لحظة
شكراً . . خضراء . . ومربعة تقريباً
جافه . . !
لكن . . لابأس
هل تدرى أنى صليت المغرب ثم غفوت بكامل ثوبى . .
استعداداً للنوم
حتى دق الجراس برأسى ، فتركت سريرى

لم آكل لقمة
خضراء . . شكراً لله . . لابأس بها

« العامل يمد الورقة الى فمه ، فينتفض الراكب مذعورا »

الراكب :

أرجوك . . لاتأكلها . . . أرجوك

عامل التذاكر :

آكلها . .
كنت أظنك رجلا يتمتع ببقية عقل
آكلها . . يالله . . آكلها
هل يأكل أحد ورقه ؟
هذا مالم نسمع به
نسمع عن أكل لحوم الخيل ، جراد الصحراء
قدم الضفدع ، أعشاب البحر
بل نسمع أحياناً - ياللقسوة . عن أكل لحوم الأحياء أو الموتى
لكنا لم نسمع أبداً عن أكل الأوراق

الراوى :

هذا ليس صحيحاً
معذرة لمقاطعته
لكنى أبغى أن ألقى تعليقاً آخر
فألذ طعام للإنسان هو الأوراق
وأشهى مافى الأوراق هو التاريخ

نأكله كل زمان وزمان ، ثم نعيد كتابته فى أوراق أخرى
كى نأكلها فيما بعد

عامل التذاكر :

إنى مندهش من أمرك
كنت أظنك تفهم عنى
لكنى لن أقسو فى لومك
فلقد مات الود وهان ، ولما تعقد عقدته بعد
مضطرا ياسيد
سأعاملك معاملة رسمية
لكنى كنظامى مسئول
وثلاثى السترة
أتذكر كلمة عشرى السترة
لما سلمنا أوارق التعيين

الراوى :

إنى أحفظ هذى الكلمات
فيما أحفظه من درر القول
مثل :
« جوع كلبك يتبعك »
سيدنا النعمان بن المنذر
ومثل :

« عندما أسمع كلمة الثقافة أتحسس مسدسي
سيدنا هرمان بن جورنج
ومثل :
علمهم الديمو قراطيه، حتى ولو اضطررت إلى قتلهم جميعا»
سيدنا ليندون جونسون
ومثل .
« إني أرى رءوسا قد أينعت وحان قطافها ..
سيدنا الحجاج الثقفي
أما كلمة عشرى السترة ، فهى
« حتّقْ فى رحمه
ثم أضرب فى عنف »

عامل التذاكر :

« رافعا يده بالتحية »
هاأنذا ياعشرى السترة ، أترقرق رحمة
وأقول لهذا الرجل المتقنع ببلاهته المكشوفة
« انى حين رفعت بطاقتك إلى وجهى
لم أك أنوى أن آكلها
بل كنت أحدق فيها
مازلت أحدق فيها
مازلت أحدق فيها
ياللشيطان .. ماهذا ؟

الراوى :

سر فى الموضوع

سر فى الموضوع

فلقد ألقى العامل بالورقة للأرض

مذعوراً .. أو كالمذعور

عامل التذاكر :

هذى قطعة ورق بيضاء

فرد واحد

فى حوزته هذى الأوراق البيضاء

فرد موجود منذ قديم الأزمان

أو لم يوجد بعد

أو لم يوجد قط

لكنا نسمع عنه فى كل مكان

بعض الناس رأوه

أو خالوا أنهمو فى بعض الأحيان رأوه

بعضهمو قد خاطبه مثل خطابى لك

أو يزعم بعضهمو أن قد خاطبه يوما ما

« الراكب يمد يده للأرض ، ويلتقط الورقة ، ويتحدث وهو يشير اليها »

الراكب :

لكنى أوراقى ليست بيضاء

هذا اسمى !

هذا رسمى !

عامل التذاكر :

لا .. أوراقك بيضاء .. أنظر

أنظر .. بيضاء تماما

لاتعرف أوراقك

آه .. أدركت الآن

هى ليست أوراقك

أنت سرقت الأوراق إذن

لحظة ...

الأمر خطير

الراوى :

العامل يستخرج نجمة مأمور أمريكى من جيبه

ويعلقها فى صدره

يتحول عن مقعده حتى يجلس فى وجه الراكب

يسحب رفا من تحت المقعد

يصنع منه مائدة ، ينشر أوراقا

يستخرج بضعة أقلام من جيب السروال الخلفى

يشعل سيجارا

يضفر شاربه بلعاب ثناياه

أو بدهان يستخرجه من جيب السروال الخلفى

يتخفى مزهوا ، ويقول

عامل التذاكر :

ياعبده

قف ، واسمع وصف التهمه

أنت قتلت الله

وسرقت بطاقته الشخصية

وأنا علوان بن الزهوان بن السلطان

والى القانون

فى هذا الجزء من العالم

باسمك ياعشرى السترة

أفتتح الجلسة

الراكب :

لا . . لم أفعل

مظلوم . . مظلوم

إنى أطلب عشرى السترة ذاته

أطمع فى عدله

عامل التذاكر :

لحظة

لابد لكى يجرى العدل

من أن نحفظ للعدل مظاهره الرسمية

الراوى :

هذا حق
فالعدل بلا مظهر
كالمرأة دون طلاء
كالمسرح — مسرحنا هذا — دون ستائر
لهذا فالعامل يقفز كى يجلس فى أعلى العربة
فوق الرف الشبكى
يدلى ساقيه ، ويورجح قدميه على رأس الراكب
لا تندهشوا هذا أيضاً حق
نقدعاً قالوا .
إن القانون .
فوق رءوس الأفراد

الراكب :

مظلوم . . والله . . مظلوم . . مظلوم
لم أقتل أو أسرق
أدركنى ياعشري السترة

عامل التذاكر :

هل تطلب عشرى السترة ؟

الراكب :

مظلوم . . مظلوم

عامل التذاكر :

أنا عشرى السترة

أنظر . .

الراوى :

العامل يفتح سترته الرسمية .

مره ، مره ، مره مرات سبعا

تلمع أزرار السترة من سترته حتى جلده

الراكب :

عدلك ياعشرى السترة

عامل التذاكر :

هل تطمع فى عدلى ؟ .

ماذا تعرف عن عدلى ؟ .

الراكب :

إنك أعدل من فى الاض

عامل التذاكر :

لا بأس بهذا .

حدثنى عن رفقى بالضعفاء

الراكب :

فإذا رحمت فأنت أم أو أب

هذان فى الدنيا هما الرحماء

عامل التذاكر :

هذا أحسن

حدثنى عن علمى .

الراكب :

عليم بأسرار الديانات واللغى

له خطرات تفضح الناس والكتبا

عامل التذاكر :

طيب . . طيب

حدثنى عن جودى

الراكب :

ولو لم يكن فى كفه غير روحه

لجاد بها فليتق الله سائله

عامل التذاكر :

لا هذا قول طائش

فأنا لا أقدر أن أعطى أحدا روحى

لا ضنا منى أو بخلا ، بل إشفاقا أن يختل نظام الكون

هى مسئولية . !

هل هذا شعرك ؟

الراكب :

لا ، وجلالة مجدك

هذا شعر سمج مأفون يعلق فى ذاكرتى من أيام صباى .

عامل التذاكر :

هل تعرف قائل هذا الشعر ؟

الراكب :

المتنبي فيما أذكر

عامل التذاكر :

لا. لا. لا يخطئ حدسي أبداً
هذا يبدو من شعر العائم
شعبان العائم

الراوى :

الراكب تسعفه الحيلة
يتلمس قلما من أقلام العامل
يتصنع هيئة مبهور بالمعلومات
ويقول بصوت متزلف

الراكب :

من يامولاى ؟

عامل التذاكر :

شعبان العائم
صحفى حاشيتى
لا يصلح إلا فى هذا الهذر الأجوف
لكنى أتسلى به

هل تعلم .. لست سعيداً
يتخيل بعض الحمقى أنى رجل محظوظ
ويقولون لأنفسهم،
حين يعودون إلى أكواخهم وزرائبهم الليل
« ماذا يصنع عشرى السترة ؟
يتقاضى أعلى أجر
يسكن فى قصر
يتصرف فى أقدار الناس »
لا يدرون بأنى أحمل أكبر عبء
أفزع فى الليل إذا حدثت واقعة ما
أخرج من قصرى كى أتفقد أحوال الخلق
أحفظ فى ذاكرتى أسماء القتلة والسفاحين
وذوى الأفكار السيئة الأخطر من أخطر أنواع القتلة والسفاحين
أستقبل زوار البلد الغرباء
أتحمل نظراتهم الحاقدة البكماء
أشرب قدح القهوة حتى أعدائى
مع زوارى من كل مكان
أتجرع مائتى فنجان فى اليوم
فسدت أمعائى ، آكل أكلا مسلوقا
هل تعلم أنى أحياناً
لا أغفو إلا ساعات فى الأسبوع

لاتتصور أنى أخشى أن أقتل فى نومى
فأنا لا أخشى الموت
لكن لابد من الحيطة
ولهذا ، فأنا أقتل أعدائى أو أشريهم بالترتيب
لا أخشى من أعدائى ، بل من أصحابى
يأكلهم حسد ضار
قد يبتسمون بوجهى ، لكن قلوبهم سوداء
إنى أحيا وحده
أحيا فى وحده
أحيا فى وحده

الراكب :

لا تحزن يا مولا ى.

عامل التذاكر :

أنا لا أبكى نفسى ، لكنى أبكى ضيعة نفس الحساد
أبكى من أجل قلوبهم السوداء
أتمنى او رأوا النور وعرفوه
لو عرفوا معنى أن يصفو القلب ويتطهر بالحب

الراكب :

لا تحزن يا مولاى
دمعك أغلى من أن تسفحه اشفاقا منك على أهل السوء

عامل التذاكر :

هذا حق

يبدو أنك رجل طيب

لحظه

الراوى :

العامل يهبط من فوق الرف

يجلس جنب الراكب

الراكب يتفاءل بالخير

يشكر ذلك إذ توشك أن تنقذ روحه

عامل التذاكر :

فلنتحدث كصديقين

فلعلك تغفر لى أنى أتمعن فى أمرك

إذ أنبئك بأن شاعت شائعة لا أدرى ما فيها من صدق

الراكب

فلتتحقق منها يا مولاى بثاقب عقلك وسديد ذكائك

عامل التذاكر :

هذا ما أفعل

أنظر . . قدر وضعى

أنا مسئول عن هذا الوادى كله

والشائعة تقول .

رجل من أهل الوادى قد قتل الله .
وسرق بطاقته الشخصية

الراكب :
هذا أفظع ما سمعته أذن
شائعة كاذبة يا مولاى . . بلا شك

عامل التذاكر :
لا ، هى صادقة ، بكل أسف
لكن بطريق غير مباشر

الراكب :
أعذر قلة فهمى . . يا مولاى
ما معنى هذا . . ؟

عامل التذاكر :
يعجبنى تقديرك للموقف
وسأشرح لك

الراكب :
شكراً يا مولاى

عامل التذاكر :
لا داعى للشكر
هل تدرى ما معنى فقد بطاقتك الشخصية
معناها أنك لست بموجود

فالسارق قد قتلك:
إذ أفقدك تشخصك المتعين

الراكب :
سامح جهلى يا مولاى
ما معنى هذه الكلمة

عامل التذاكر :
أى أفقد وجودك
أفهمت . . ؟
ولهذا حين أقول
أنت قتلت الله
لا أعنى طبعا — استغفره — أنك قد .
لا ، لكنى أعنى . . أنت سرقت بطاقته الشخصية
وبهذا يتساوى الأمران

الراكب :
لكن لم أفعل شيئا من هذا قط

عامل التذاكر :
هذا أمر آخر
نتداول فيه فيما بعد
لكن الموضوع . .
أن الله تخلى عن هذا الجزء من الكون
لا يعطينا شيئا قط :

لا ينظر فى هذى الناحية كما كان

قلنا .

ماذا حدث لنا . . ؟

قالوا

أحدهم قد قتل الله هنا

ولهذا فهو يخاصمنا

أعنى — طبعا — أحدهم قد سرق بطاقته الشخصيه .

وانتحل وجوده

قلنا .

نبحث . . لكن فى السر

وبحثنا

راجعنا كل ملف

سجلنا كل مكالمة تليفونية

صورنا كل خطاب

أمسكنا بالآلاف

عذبنا عشرين لحد الموت

وثلاثين لحد العاهة

وثمانين لحد الإغماء

لكن لا جدوى

الراكب :

وهل اعترف أحد

عامل التذاكر :

اعترف قليلون

مائة فيما أذكر

لكن لا جدوى

الراكب :

كيف . .؟

عامل التذاكر :

مازال الله يخاصمنا

والأمر خطير

وأنا نفسي — عشرى السنره ..

أتنكر فى زى العمال

أو فى أسمال الفلاحين

أنزل فى الوديان

أهبط فى أعماق الحارات

أصعد الأدوار العليا بالدرجات الخلفيه

أتسمع خلف الجدران

أكسو وجهى جيرا ، أو أبلع نارا ..

وأقدم ألعابى فى مقهى الحشاشين

قد أتسقط كلمه

أو أتبع خيطا يفضى للسر

قد ينفتح أمامى باب أو سرداب

أفضى منه للأمر المجهول

أنظر

هانحن الآن

رجل سوقى عادى من أهل الوادى
وأنا عشرى السّرة ذاته
أجلس جنبك
كتفانا ملتصقان
نتحدث مثل الأصحاب
فلعلك تفضى لى بالسر
هل أدركت الآن كم الأمر خطير
يستدعى انكار الذات ؟

الراكب :
جدا . . يامولاى

عامل التذاكر :
هل أنت على استعداد أن تصنع شيئا من أجلى ؟
من أجل الوادى؟

الراكب :
بل من أجلك يامولاى
دعنى أبحث عنه معك

عامل التذاكر :
تبحث عنه معى ؟

الراكب :
اسمح لى يا مولاى

عامل التذاكر :
هاهوذا ..

الراكب :
من . . ؟

عامل التذاكر :
أنت .. !
افهمني .. أرجوك
كان الأمر حبيسا لايعرفه إلا بضعة أشخاص من خلصائى
حتى انتشر النبأ الفادح
وصل إلى أعدائى ، وتسرب منهم للعامه
لهذا لايتسع لنا الوقت الآن
لنميز بين الصادق والكاذب ، بل ..
لابد من الحسم
لم أفعل لاختل نظام الوادى
إنى أعرف ما أفعل
سأقول لهم فى صحف الغد إنى — أنا نفسى —
قد أمسكت الجانى ، وقتلته
وسأعرض صورتك وجثتك على الناس
إنك رجل طيب
مخلوق من أنبل طينه
أهل للتضحية الكبرى
أنت على استعداد أن تصنع شيئا من أجلى

هل تذكر .. ؟
دعنا من هذا الموضوع الآن
نتداول فيه فيما بعد
أسألك الآن سؤالا عما يتفق وذوقك
هب أن أمامك أربع آلات للموت
السوط

الراكب :
لا .. لا ..

عامل التذاكر :
لايتفق وذوقك
أنت على حق
هذا أسلوب همجى متخلف
تيمور لنك الهمجى
ما رأيك فى السم ؟!

الراكب :
لا .. لا ..

عامل التذاكر :
لايتفق وذوقك .. أيضاً
أنت على حق
أسلوب متسم بالخسة والغدر

سلوب الميديتشى
ما رأيك فى الغداره
لا .. لا .. أنا نفسى لاأهواها
قتل عن بعد ، دون ملامسة محمومه
أسلوب عصرى مبتذل ، لعب صغار جبناء
يحتاج الموت إلى أسلوب تقليدى
يحفظ رونقه وجلاله
آه . . الخنجر
الاسكندر . . أسلوب الاسكندر
معذرة . . ياعبده
يا أنبل مخلوق صادفته
فلْيمسَسْكَ الخنجر
فليد خلك الخنجر

« يطعنه بالخنجر »

الراوى :

لا أملك أن أتكلم
وأنا أنصحكم أن تلتزموا مثلى
بالصمت المحكم

الراكب :

آه ..
لكنا لم نتداول بعد

عامل التذاكر :

نتداول فيما بعد

الراكب :

أقسم .. أني .. لم أقتل .. لم أسرق

أقسم .. أقسم

عاملَ التذاكر :

أعلم هذا يا أنبل مخلوق

هل تدرى من قتل الله ، وسرق بطاقته الشخصية

لا .. لن أكشف أمره

لكن .. لابأس

إفتح عينيك لآخر مره

أنظر آخر نظره

« يفتح العامل السترة اللاصقة للجلد ، ومن بين جلده وثوبه يخرج البطاقة البيضاء ، ويلوح بها أمام عينى الراكب المحتضر الذى يسقط ميتا بعد نظرته الاخيرة » ..

عاملَ التذاكر :

آه .. كيف سأحمل جثة هذا الرجل الممتلئة

« متجها الى الراوى »

ساعدنى ياهذا

احمله معى

الراوى :

« متجها الى الجمهور »

ماذا أفعل
ماذا أفعل
فى يده خنجر
وأنا مثلكمُ أعزل
لا أملك إلا تعليقاتى
ماذا أفعل ؟!
ماذا أفعل ؟!

« النهـاية »

« تذييل »

● لو كان لى ان أخرج هذه المسرحية ، وهـذا فرض سأعود اليه فيما بعد ، لقدمتها فى اطار من « الفارس » اذ انني أريد للمتفرج أن يخشى عامل التذاكر ضاحكا ، وأن يشفق على الراكب ضاحكا ، وأن يحب الراوى ويزدريه ضاحكا كذلك .

فلست أريد فى هذه المسرحية أن أقدم أشخاصا بقاماتهم الصحيحة السليمة ، ولكنى أريد أن أقدم نماذج من البشرية . واتخاذ النموذج أساسا للعمل المسرحى يعنى درجة من التجريد ، تماما مثل الفكاهة أو النكتة ، حين تجعل محـورها نموذجا يواجه نموذجا آخر ، فتتكشف بهذا التجريد لب التناقض .

وقد خطرت فكرة هذا العمل ببالى ، ووقفت بين أن أجعلها قصيدة أو حوارية ، أو عملا مسرحيا وحين آثرت الشكل الأخير تبدت لى بضعة مشكلات . وفى الحق انى لم أمعن التفكير فيها قبل الكتابة ، فما هذا من دأبى ، ولكن الكتابة قد جلت حلولها التى ربما كانت مستكنة فى مـكان ما من عقلى ، فانكشفت على الورق .

وحين قرأ بعض الأصدقاء هـذه المسرحية ، كاشفونى بآرائهم التى وجدت فى معظمها صـدى للمشكلات التى عهدتها قبل الكتابة ، وتبلورت هذه المكاشفات فى هيئة أسئلة ، كان أولها :

ـ لماذا الشعر ؟

الشعر لأن المسرحية ظلت تكتب شعرا عمرها كله ، فيما عدا القرن الأخير . ولأنها تحاول أن تعود

فى سنواتنا الأخيرة الى النبع الذى انحدرت منه . وقد أسعفها على العودة ذلك التغير فى مفهوم كلمة الشعر اذ لم تعد مرادفة لكلمة النظم ، بل أصبح بين الشـــعر والنظم مباينة أعمق من المباينـــة بين الشعر والنثر ، فالخلاف بين الشعر والنثر خلاف شكلى ، أما الخلاف بين الشعر والنظم فهو خلاف فى الرؤيا والاقتراب والتحقيق .

ولكن قضية الشعر والمسرحية ليست قضية جاهزة ، بل هى قضية خصـــبة مشتبكة الافـــرع ، انبتت وستنبت ألوانا من التعريفات . فمن السهل أن نتحدث عن شعرية المسرح أو شاعريته عند «اليوت» و « ييتس » و « كريستوفر فراى » و « أودون » و « فاترلنك » و « بيكيت » و« شحاده» وغيرهم . ولكننا لو تتبعنا مفهوم العلاقة بين المسرحية والشعر لوجدنا فيما بينهم اختلافا شاسعا لايقل سعة عن الاختلاف بين كتاب المسرح النثرى . والاختلاف هنا هو فى دور الشعر .. أهو حالة أم أسلوب أم حلية ، بل أن فى ظلال المؤلف الواحد ألوانا من الاختلاف ، كما هو الشأن فى اليوت . فان « جريمة قتل فى الكاتدرائية » مسرحية مكثفة ، غنية بالايقاعات ، جليلة بشخصياتها المتموجة ، بل هى عودة بالمسرح الى حالته الأولى كطقوس كلامية مصاحبة للطقوس الحركية ، بينما يحاول اليوت فى مسرحياته التالية ، وبخاصـــة « حفلة الكوكتيل » . وما بعدها أن يجعـــل من الشاعرية اطارا عاما للعمل الفنى ، مع قدر قليل من الايقاعات يهب اللغة نفحة من السمو ، تخفى أحيانا حتى ليخفى على المتفرج أنه يسمع شعرا .

وقد يكون لذلك علاقة بالأشخاص الذين يختارهم المؤلف ليجرى بينهم أحداث مسرحيته ، ولا أدرى أى وهم فنى رسخ فى نفوسنا أن السادة فى الحياة ،

سادة فى اللغة . وأن عامة الحياة عامة فى اللغة .
ولكن هكذا جرينا ، ودأبنا بتأثير النزعة الطبقية التى
بلغ من عمقها فى وجدان الانسانية أن اشتقت منها
كلمة « كلاسيكية » دلالة على الأنقى والأجود والأكمل
والواقع أن اللغة قادرة على أن تسمو وتنقى بتأثير
المواقف ، لا بتأثير المكانة الطبقية للأشخاص .

ولنعد الى اختلاف شـــعراء المسرح الواسع .
ولنجاوز اليوت لنجد شاعرية رمزية تعمـد الى
الايماء والايحاء أكثر مما تعمد الى الكشف عنـد
الفرنسيين وكتـاب الفرنسية ، بينما نجـد أن
كريستوفر فراي يعمد الى الشعر كوسيلة لاستيعاب
الجناس والطباق والمقابلة ، بحيث يذكرنا أسلوبه
الشعرى بأسلوب أوسكار وايلد فى النثر ، وأنه
لأسلوب جميل .

ليس هناك اذن مشرع واحد للشعر المسرحى
حتى عند أولئك الذين رسخت التقاليد الشعرية
والمسرحية فى آدابهم . أما نحن العرب ، فأغلب ظنى
أننا مازلنا نتلمس الطريق ، وقد كانت مسرحيتى
هذه حرية بأن تكتب نثرا ، ولكنى كنت أظن أنها
عرضة لأن تفقد الكثير .

فالتفعيلة التى أخذتها أساسا موسيقيا لهـذه
المسرحية تفعيلة بسيطة ، ولكنها شـديدة الايقاع
ومنسابة فى وقت واحد . انها التفعيلة التى آثرها
المداح الشعبى فى قوله « الحمد لرب مقتدر » وهى
تعتمد على توالى الحركة والسكون ، مع لون من
التنويع يعرفه من يعرفون الاستماع الى الموسيقى
وتبين الهيكل العظمى للحن أو جملته الموسيقية ،
والخروج المشروع عنها .

ان التفعيلة هى الوعاء ، فلنسأل عن محتواه ، وأظننى أجاوز الحقيقة كثيرا لو زعمت أن مسرحيتى غنية بالحيل الشعرية القـديم منها والحديث . وأقصد بالحيل هنا معنى شريفا . فالحيل الشعرية هى التشبيهات والاستعارات والكنايات كما عرفها العرب، وهى أيضا الوان أخرى من البلاغيات الحديثة، مثل بلاغـة استحثاث الخيال واستثارته بالايحاء وبلاغة التكثيف حتى لتختصر التجربة الانسانية فى سطر أو سطرين يتميزان بالصقل والتجويد ، وبلاغة التوسل الذاتى حين يستثير موقف ما الشخصية المسرحية فتنطلق تنفض ذاتها فى مونولوج مجـود معمق غنى بالايحاءات ، ولكنى كنت حريصا على أن أبتعد عن هذا كله الا ما اقتضته الضرورة ، فقـد اهتديت الى أمرين حرصت عليهما :

أولهما : أننى أريد أن أتصور هـؤلاء الناس لو نطقوا شعرا، فى موقف كموقف مسرحيتى، فماذا يقولون ؟

وثانيهما : أننى أريد عندئذ أن أسـبغ حالة شعرية على مسرحيتى ، لا أن أكتب شعرا يستطيع أن يقف على الخشبة .

وقد قلت فى فاتحة حديثى اننى لو أخرجت مسرحيتى لجعلتها كوميديا فى الاداء قد تتحول الى « فارس » أو مسخرة كما يترجمها المجمعيون . و « لو أخرجت » هذه تحتاج وقفة ، فأنا أؤمن اننا ــ نحن الشعراء الذين نكتب للمسرح ــ قـد أهملنا تقليدا جليلا ، هو أن نكون كتابا ومسرحيين فى ذات الوقت ، كما كان اسلافنا منذ اسخيلوس حتى شكسبير . وقد نتج عن تراخينا فى أداء واجبنا أن دخل الى المسرح ، ووقف بيننا وبين النص عديد من الوسطاء اهمهم المخرج .

وهذه المسرحية فى رأيى .. كوميديا .. رغم انها تنتهى بفاجعة ، فهى اذن لون من الكوميديا الداكنة أو السوداء . والشعر فى الكوميديا يختلف عنه فى التراجيديا أو الدراما حتى عند شكسبير ، اكثر شعراء المسرح شاعرية .

السؤال الثانى :

ما شأن اللغة هنا ؟

فالقارىء قد يشهد هنا الفاظا لم يعتدها فى الشعر ، وقد وقفت أنا كثيرا تجاه بعضها يتجاذبنى عاملان ، عامل الابقاء عليها لأنها هى الألفاظ التى تحمل الدلالة التى أريدها ، وعامل اسقاطها أو تغييرها لأن فيها شبهة ركاكة أو عامية . ففى المقطع الثانى من حديث الراوى نجد عبارة « فالأمر بسيط » وأنا لا أحب أن استعمل كلمة « بسيط » بهذا المعنى ، بل أؤثر معناها القديم كاحدى صيغ « مبسوط » بمعنى ممهد مستو ، ولكن الكلمة قد انتقلت من هذا المعنى الى معناها الجديد ، كما انتقلت كلمة « سهل » من معناها كأرض منبسطة الى معنى اليسر والوضوح والاستواء فى شرع الفكر لا فى رؤية العين .

وحين يمضى القارىء فى المسرحية سيجد ألفاظها وصيغا أخرى لم تجر العادة على استعمالها فى الشعر ، مثل « عواميد السكة حديد الارضية » وجه فى اعلان — البرميل الأسمر — يتركنى فى حالى — قال فى نفسه » الى غير ذلك مما هو قريب منه .

أبقيت على هذه الألفاظ لأنى أؤمن أن لكل عمل فنى بلاغته ، ولأنى وجدت أسلافنا من كتاب المسرح حين يكتبون الكوميديا يترخصون فى الجلال لصالح التعبير ، ولأنى كما قلت كنت حريصا على شاعرية « الحالة » لا شاعرية الأداء . وقد رأيت أن عد أعمدة السكة ، ولعب الرجل فى ذاكرته ، وسقوط أيامه من عينيه لكى يستعرضها أمامه ، ومداعبته للمسبحة ثم بحثه عن حباتها ، كل ذلك مرادفات عصرية لحالة الملل والحيرة التى يقاسيها الرجل ، وأظنها أوضح تعبيرا من الكليشيه المأثور « يضرب أخماسا فى أسداس » وأظننى لو قلت كما قال ذو الرمة

عشـــية مالى حيـــلة غـير أننى
بلقط الحصى والخط فى الترب مولع

لما بلغت من تجسيد حالة الراكب شيئا .

من الراوى ؟

أما فى منطق الفن ، فالراوى هو البديل للجوقة التى عرضها المسرح الاغريقى ، وأنا أعد الجوقة فتحا مسرحيا ، ينبغى ألا يغلق بابه ، وجزءا من العمل المسرحى ينبغى أن نحرص عليه من التآكل والسـقوط . وقد أوشكت الجـوقة أن تنقرض بتأثير هذه النزعة الى عد المسرحية عملا روائيـا يستبـدل السرد بالحـوار ، ومن لا دور له من الشخصيات المحددة لاحق له فى الكلام . لقد أوشك المسرح الطبيعى أن يقضى على الجـوقة . ولكن المسرحية ليست عملا روائيا موزعا على شخصيات ، بل ان المسرحية الجيدة قد لا تحوى حكاية جيدة ، بل قد لا تحوى حكايةما . وليس القصد منها هو

الحكاية ومفاجآتها والا احتضر المسرح الاغريقى عند ولادته ، اذ أن كل حكاياته كانت معروفة سلفا عند متلقيها . لقد فرق يتس فى مقدمة احدى مسرحياته بين فنون الخيال وفنون الواقع . أما فنون الخيال كالشعر والعبادات الشعائرية والموسيقى والرقص فهى لا ترتبط بالحدث ارتباطا مباشرا ، بل هى تحوله الى مشاهد ملهبة للخيال . اذ تنفصل عن عالم الواقع لتغوص الى غور من أغوار العقل كان من قبل مجللا بالغموض الذى يخيف القاصدين . أما فنون الواقع فهى مجموعة من الصور الفوتوغرافية الدقيقة فى اطاراتها المذهبة أو العارية .

والمسرحية المكتوبة هى الكلمة سيدة وحاكمة ، وعلى الخشبة أن تخضع لها ، واذا كانت الكلمة واجبة وموجبة ، فمن حقها أن تقال فى المسرحية حتى ولو علقت كشعار فوق الخشبة ، أو طاف بها المنادون فى أروقة المسرح وبين صفوفه .

ولكن مالى وهذا القول ، وأنا أعتقد أن الراوى شخصية رئيسية من شخصيات مسرحيتى ، فهو بديل للجوقة كما قلت ، اذ أنه يوضح ويعلق ويثير ، هذاهو أهون أدواره ، أما دوره الرئيسى فهو ممثل لكل من هم خارج المسرح ، لذلك فهو يقف على حافته .. ان على المسرح جلادا وضحية ، ولكن هناك آخرين ليسوا جلادين وليسوا فى الوقت ذاته ضحايا (لوقت ما .. ربما) فما موقف هؤلاء ؟ انهم يضحكون ويمرحون بالكلمات ، وينثرون ذكاءهم الرخيص ، ولا يستنكفون أن يساعدوا الجلاد على حمل جثة الضحية .. انهم ظرفاء العصر وأوباشه .

لقد ظلمت كلمة اللامعقول حين القـاها بعض نقـاد المسرح الحـديث كثيرا . انه ليس مسرحا لامعقولا ، بمعنى أنه مجاف للعقل ، ولكن بمعنى انه مجاف للقوالب العقلية المسماة بالمنطق ومن هنا فهو يخضع للعقل العام . وحتى كلمة « العبث » تبدو كلمة مخيبة للثقة ، من يستطيع أن يعبث فى هـذا العصر الذى نعيش فيـه ، حتى ولو كان ذا نفس عابثة . لنميزه اذن باختلافه عن سـبيل منطق العقل الى سبيل روح العقل .



يجرب صلاح عبد الصبور فى المسرح الشعرى مختلف الأساليب ايمانا منه بأن هذا الشكل الفنى هو أوسع الأشكال وأقدرها على احتواء مختلف وسائل التعبير .

كما انه يجرب مختلف المداخل الى المصالحة بين الخشبة والشعر وهو حين يقصد الى التجربة يحرص على أن يستكمل أدواتها ، وصلاح عبدالصبور كما يقرر بعض النقـــاد يعانى من الطموح الفنى ويجهد دائما أن يتجاوز ذاته ويفارق الخطى التى حققها من قبـــل والأرض التى امتلكها الى أرض جديدة .

وقد حقق صلاح عبـــد الصبور . فى مأساة الحلاج جوا من الواقعية الرمزية مع قدر ملحوظ من الجلال التراجيدى . وهو هنا فى كلتا مسرحيتى ((الأميرة تنتظر ومسافر ليـــل)) يحلق فى آفاق أخرى ـــ فى الأولى يحلق فى أفق الفانتازيا حيث تغرى هذه المسرحية مخرجها بأن يصنع منها عملا غنائيا أوبراليا ورغم تكثف الدراما فسيظل للشعر فيها نصيب وافر . أما فى مسافر ليل فهنا أفق جديد من السخرية والفكاهة ولكنها سخرية مريرة وفكاهـــة سوداء والشعر هنا يتحقق من خـــلال الموقف لا من خلال الحوار فحسب .

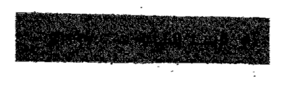
مسرحيتان جـــديرتان بأن تقرأ وخطوتان على طريق المسرح الشعرى وعلى طريق صلاح عبـــد الصبور .

أعمال المؤلف الشعرية

* الناس فى بلادى
* أقول لكم
* أحلام الفارس القديم
* مأساة الحلاج
* الأميرة تنتظر
* مسافر ليل
* ليلى والمجنون
* تأملات فى زمن جريح

رقم الايداع بدار الكتب
١٩٧٣/ ٢٠٠٢

دار الهنا للطباعة ت : ٧١٣٢٧



صلاح عبد الصبور :

- ولد وعاش فى الزقازيق بين عامى ١٩٣١ - ١٩٤٧ .
- تخرج فى كلية الآداب جامعة القاهرة ١٩٥١ .
- بدأ ينشر شعره المبكر منذ عام ٥٢ فى المجلات والصحف المصرية واللبنانية .
- أخرج ديوانه الأول «الناس فى بلادى» عام ١٩٥٧ وكان لصدو
أبعد الاصداء .
- اتجه الى المسرحية الشعرية كأسلوب للتعبير يواكب القصـ
ويدعم انتاجه فيها وأصدر فى عام ١٩٦٤ مسرحيته الأو
« مأساة الحلاج » التى فازت بجائزة الدولة التشجيعية .
- ترجم كثير من شعره ومسرحه الى مختلف اللغات وقدمت بعـ
أعماله المسرحية فى بلدان أوروبية .
- يعتقد أن الكتابة أسلوب للحياة والعمل والمتعة واكتشـ
الذات .

الناشر : دار النهضة العربية